٨٠

خيبر

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

[سورة الفتح: الآيات: ١٠ – ١٢]

* * *

«المدينـة، والرسـول – عليه السلام – لا يصرفه صارف عما يحيط بالإسلام والمسلمين من مخاطر.. إن المغادرين من يهود بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة قد تترسوا بأقربائهم فى «خيبر» على نحو مائة ميل فى الشمال الشرقى من المدينة على طريق القوافل المصعدة إلى الشام والآتية منها.. وجدوا فى يهودها وحصونها قوة.. إنها كالمدينة واحة كبيرة تحف بها صخور بركانية وتتخللها سبع قلاع صخرية.. إليها هاجر اليهود من قديم مثلما هاجروا إلى المدينة فرارًا من بطش الرومان!.. منذ لحق يهود بنى النضير بخيبر وهم يؤلبون ضد الإسلام، ويشجعون أترابهم من اليهود بأن حصون خيبر المنيعة سوف تحميهم، فسرت حمى التعصب ضد المسلمين والتباهى عليهم بين القوم، حتى ليخرج المقاتلون من اليهود كل يوم بالآلاف ليتصايحوا فى تيه: محمد يغزونا هيهات هيهات!!!».

«المحرم من السنة السابعة للهجرة، وقد تشاور النبى ﷺ مع صحابته، وبدا لهم أنه لم يعد هناك محيص من الخروج إلى خيبر.. النبى – عليه السلام – يأمر بأن ينادى فيمن شهد الحديبية ليتأهبوا للخروج معه..».

* * *

«أمام المسجد النبوى، وقد أخذت تكتمل تجمعات المسلمين.. والنبى عليه السلام – يمضى بينهم متفقدًا مشجعًا..».

بعض الصحابة : قد جاء مخلفون عن الحديبية!

«يتقدم من النبى بعض المخلفين عن الحديبية يريدون الخروج معه..».

المخلفون : نخرج معك يا رسول الله إلى خيبر..

بعضهم : إنها ريف الحجاز طعامًا وودكًا..

النبى : لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد.. فأما الغنيمة فلا..

صحابى : دعاكم رسول الله للخروج معنا فى الحديبية فتشاغلتم!

«النبى عليه السلام يدعو أصحابه أن يبعثوا مناديًا فى الناس.. لايخرجن معنا إلا راغب فى الجهاد، فأما الغنيمة فلا!».

«النبى – عليه السلام – منتح بنفسه، يتغشاه الروح الأمين فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الفتح: الآيات: ١٠ – ١٢]

(يرتفع الوحى)

* * *

«اليهود الباقون فى المدينة يراقبون ما يجرى على مضض وكره.. لا يستطيعون أن يفصحوا عما بدخيلة صدورهم من مقت للمسلمين وتعاطف مع بنى ملتهم فى الشمال.. يختلقون التعلات بطلب ما لهم من ديون على بعض المسلمين، وإن لم تحل آجالها بعـد..».

«بحى من أحياء المدينة، أبو الشحم اليهودى يتلمس عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمى يريد أن يقتضى منه خمسة دراهم ثمن شعير كان قد أخذه لأهله..».

عبد الله بن أبى حَدْرَد الأسلمى: (لليهودى) أجلنى إلى أن نعود، فإنى أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقك إن شاء الله..

أبو الشحم اليهودى: (مغيظًا) تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلقون من الأعراب؟!

عبد الله بن أبى حَدْرَد : إن الله عز وجل قد وعد نبيه خيبر.

أبو الشحم اليهودى : هيهات. فيها التوراة وعشرة آلاف مقاتل!

عبد الله بن أبى حَدْرَد: أى عدو الله: تخوفنا بعدونا وأنت فى ذمتنا وجوارنا؟! والله لأرفعنك إلى رسول الله.

«ينصرفان معًا إلى حيث الرحمة المهداة..».

* * *

«أمام المسجد النبوى.. عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى وابن الشحم اليهودى يممان شطر رسول الله..».

عبد الله بن أبى حَدْرَد : يا رسول الله ألا تسمع إلى ما يقول هذا اليهودى؟

«النبى – عليه السلام – يسمع ما يرويه عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى، ولكنه صامت لا يجيبه بشىء!..».

أبو الشحم اليهودى: يا أبا القاسم، هذا قد ظلمنى وحبسنى بحقى وأخذ طعامى!

النبى : (لابن أبى حدرد) أعطه حقه؟

عبد الله بن أبى حَدْرَد: والذى بعثك بالحق ما أقدر عليه!

النبى : (مكررًا) أعطه حقه!

«عبد الله بن أبى حَدْرَد يصدع حياءً وأدبًا.. لا يقدر أن يعاود رجاءه لرسول الله، يتحامل على نفسه ويمضى إلى السوق، يبيع أحد ثوبيه ويؤدى لليهودى دينه..».

* * *

«النبى – عليه السلام – فى موقفه بين المسلمين، يقترب منه أبو عَبَس بن جبر!

أبو عبس : يا رسول الله، ما عندى نفقة ولا زاد ولا ثوب أخرج فيه!

«النبى – عليه السلام – يناوله شقيقة سُنْبلانية (قطعة ثياب سابغة الطول).. ينطلق بها أبو عبس فرحًا إلى السوق، يبيعها بثمانية دراهم، ويبتاع تمرًا بدرهمين لزاده، وبردة لنفسه بدرهمين – ويرسل إلى أهله أربعة دراهم، راجيًا من الله أن تعينهم حتى يئوب..».

* * *

«المسلمون يصعدون سريعًا من شمال المدينة إلى الطريق إلى خيبر فى نحو ألف وأربعمائة مترجل

ومائتى فارس، وقد استخلف النبى على المدينة سِبَاع بن عرفطة الغفارى، وصحب معه من زوجاته أم سلمة، وخرج معهم عشرون امرأة من نساء المسلمين لمداواة وتطبيب الجرحى، يغذون السير إلى حيث غايتهم، يريدون أن يقطعوا الطريق سراعًا حتى لا يتركوا فرصة لتحالف اليهود وغطفان!.. فى سكون الصحراء، مع أشعة القمر، وحداء الإبل، يسمع النبى والمسلمون صوتًا يحدو بالقوم فى صوت شجى..».

صاحب الصوت : اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ما اتقينا وألقين سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إنا إذا صيح بنا أتينا

النبى : (لأصحابه متسائلاً) من هذا السائق؟!

بعض الصحابة : عامر بن الأكوع..

النبى : يرحمه الله.. (يلتفت إلى عامر) غفر لك ربك.

عمر بن الخطاب : (وهو على جملٍ) وجبت يا رسول الله: (أى وجبت له الشهادة بدعائك له) لولا أمتعتنا بعامر (هلا أبقيته لنا لنتمتع به)!!..

* * *

«بمضارب المسلمين وقد حطوا رحالهم طلبًا لبعض الراحة، يلحظ الرحمة المهداة أن بعض الناس قد حملوا على دوابهم ضعفين، وصعّبوا عليهم (على الإبل بركوب ما يعفى من الركوب).. النبى – عليه السلام – يدعو إليه بلال بن رباح، يأمره بأن ينادى فى الناس..».

النبى : (لبلال) ناد فى الناس، من كان مضعفًا أو مصعبًا فليرجع..

«بلال ينطلق مناديًا بين المسلمين بما أملاه رسول الله..».

* * *

«فى سواد الليل البهيم والقافلة تسير فى طريقها، وبين القوم رجل يركب على «صعب» وقد شق وضاعف الحمل عليه، فمر على سوادٍ فنفر به الفحل الذى يرتقيه فصرعه.. المسلمون يحملونه حزانى إلى رسول الله..».

النبى : (آسيا عاتبًا) يا بلال، ما كنت أذنت فى الناس، من كان مضعفًا أو مصعبًا فليرجع؟!

بلال : فعلت يا رسول الله!

النبى : (لبلال) ناد فى الناس: الجنة لا تحل لعاصٍ!

* * *

«القافلة فى طريقها تحت جنحِ الليل وضوء القمر، يلمح الرحمة المهداة رجلاً يسير أمامه وعليه رداء يبرق فى ضوء القمر..».

النبى : (لمن حوله) من هذا؟

الصحابة : أبو عبس بن جبير..

النبى : أدركوه..

«يطير إليه بعض الصحابة فيلحقونه، ويرجعون به إلى رسول الله..».

النبى : (لأبى عَبسَ) ما لك تقدم الناس لا تسير معهم؟!

أبو عبس بن جبير : يا رسول الله: إن ناقتى نجيبة!

النبى : فأين الشقيقة التى كسوتك..

أبو عبس : يا رسول الله بعتها بثمانية دراهم، فتزودت بدرهمين، وتركت لأهلى أربعة دراهم، وابتعت هذه بدرهمين..

النبى : (مبتسمًا فى حنو وإشفاق) أنت والله يا أبا عبس وأصحابك من الفقراء، والذى نفسى بيده، لئن سلمتم وعشتم قليلاً ليكثرن زادكم، وليكثرن ما تتركون لأهليكم، ولتكثرن دراهمكم وعبيدكم – وما ذلك لكم بخير!

* * *

«جموع المسلمين وقد سلكت على «عصر» (جبل بين المدينة ووراء الفرع) ووصلت إلى «الصهباء» بأسفل خيبر.. النبى عليه السلام يصلى العصر بالمسلمين ويدعو إليه بالأزواد والأطعمة، فلم يؤت إلاّ بالسويق والتمر.. يأكل عليه السلام، ويأكل كل المسلمين، ويصلى عليه السلام بهم المغرب ثم العشاء، حتى إذا ما فرغوا من صلاتهم يأمر إمام العزم الأكبر أن يأتوا إليه بالأدلاء.. يتقدم إليه حُسيل بن خارجة الأشجعى وعبد الله بن نعيم الأشجعى..».

النبى : (لحسيل) يا حُسيل.. امض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية حتى تأتى خيبر من بينها وبين الشام، فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان!

حسيل الأشجعى : أنا أسلك بك ما تريد يا رسول الله..

«القافلة تستأنف الرحيل متخفية بظلام الليل، حتى تصل إلى مفترق من عدة طرق - يتوقف حسيل الأشجعى، ويتجه إلى الرسول عليه السلام..».

حسيل الأشجعى : يا رسول الله، إن لها طرقًا يؤتى منها كلها..

النبى : سمها لى!

حسيل : لها طريق يقال لها «حزن»!.

النبى : (فى اقتضاب) لا تسلكها!

حسيل : لها طريق يقال لها «شاش»!

النبى : (فى اقتضاب) لا تسلكها!

حسيل : لها طريق يقال لها «حاطب»!

النبى : (فى اقتضاب) لا تسلكها!

عمر بن الخطاب : (معقبًا) ما رأيت كالليلة أسماء أقبح!.. (يستأنف) سم لرسول الله!

حسيل : لم يبق إلاّ طريق واحدة يقال لها: «مرحب» (من يسار خيبر وينزل عليها من شمالها)..

النبى : نعم. اسلكها.

عمر بن الخطاب : (معقبًا) ألا سميت هذه الطريق أول مرة!

«القافلة تشق طريق «مرحب» إلى حيث تريد خيبر»..

* * *

«بوادى الرجيع، بشمال خيبر.. ينزل المسلمون ليحولوا بين غطفان وبين أهل خيبر..

ما إن تظهر مشارف خيبر حتى ينادى النبى – عليه السلام – فى المسلمين..».

النبى : (لأصحابه) قفوا.

«يتوقف المسلمون مترقبين وقد تعلقت قلوبهم بصاحب العزم الأكبر..».

النبى : (يرفع يديه إلى السماء داعيًا مبتهلاً) اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما أذرين – فإنا نسألك من خير هـذه القريـة، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها.. (يلتفت للمسلمين) أقدموا بسم الله..

«يتقدم المسلمون إلى حيث ينشرون مضاربهم فى الساحة فى هدوء تحت ظلام الليل.. لا يريدون لفت الأنظار..».

* * *

«مع بواكير الصباح، يصحو أهل خيبر على خلاف ما اعتادوا كل صباح.. يقولون لأنفسهم ما لهذا اليوم لم يصح لهم ديك، فلم ينهضوا كما اعتادوا أن يخرجوا مع الصباح بالآلاف شاكين فى سلاحهم يهتفون لأنفسهم مباهين مشجعين يقولون: محمد يغزونا؟! هيهات هيهات!!.. ما لهم هذه الليلة قد ثقلت جفونهم ولم يستيقظوا إلا وقد طلعت الشمس.. إن أفئدتهم تخفق وخواطرهـم مبلبلة، يفتحون الحصون على مضض، ويغدون بالمساحى والكـرازيـن (الفئـوس) والمكاتـل.. لا

يكادون يخرجون من الحصون حتى تفجأهم
حشود المسلمين على خط الأفق فيرتدون هاربين
متصايحين إلى حصونهم وقلاعهم..».

اليهود : (متصايحين وهم يفرون إلى الحصون) محمد والخميس..
محمد والخميس (الجيش)!!

النبى : (وقد استبشر بصياحهم) الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين.

«تتصاعد تكبيرات المسلمين..»

* * *

«المسلمون يصلحون شأنهم.. يقترب
الحباب بن المنذر من النبى عليه السلام..».

الحباب بن المنذر : (على استحياء) يا رسول الله، إنك نزلت منزلك هذا.. فإن كان من أمر أمرت به فلا نتكلم، وإن كان الرأى تكلمنا.

النبى : (فى سماحة) هو الرأى.

الحباب : (متشجعًا) يا رسول الله لقد دنوت من الحصون، ونزلت بين ظهرى النخل والنز (ما يتحلب من الأرض من ماء) مع أن أهل «النطاة» (منطقة بخيبر بها أربعة حصون: النطاة وناعم والصعب والزبير) لى بهم معرفة، ليس قوم أبعد مدى سهم منهم، ولا أعدل رمية منهم، وهم هكذا مرتفعون علينا، ينالنا نبلهم، ولا نأمن من بياتهم، يدخلون فى خَمر الشجر (يتدارون خلف الشجر).

صحابى : فما ترى؟

الحباب : نتحول يا رسول الله إلى موضع برىء من النز ومن الوباء نجعل الحرة بيننا وبينهم حتى لا تنالنا نبالهم ونأمن من بياتهم ونرتفع من النزّ..

النبى : أشرت بالرأى، ولكن نقاتلهم هذا اليوم..

«النبى – عليه السلام – ينادى محمد بن مسلمة..».

محمد بن مسلمة : لبيك يا رسول الله..

النبى : انظر لنا منزلاً بعيدًا من حصونهم بريئا من الوباء، نأمن فيه من بياتهم..

«محمد بن مسلمة ينطلق باحثًا حتى أقصى الرجيع، ويكر عائدًا إلى رسول الله – عليه السلام».

محمد بن مسلمة : (فرحًا) يا رسول الله، قد وجدت لك منزلا..

النبى : على بركة الله.

«النبى – عليه السلام – يقف فى المسلمين واعظًا وناصحًا.. ينهاهم عن القتال حتى يأذن لهم.. يتفقد عليه السلام عباد بن بشر ثم يناديه فيبعثه فى بعض الفرسان طليعة لاستطلاع الحصون وما حولها.. ينطلق عباد بن بشر بمن معـه..».

* * *

«على مشارف أول حصون «النطاة»، يقع عباد ومن معه على أحد «عيون» اليهود من أشجع..

عباد بن بشر : (للأشجعى) من أنت؟

الأشجعى : باغ أبتغى أبعرة (جمع بعير) ضلت لى، أنا أعلم على أثرها..

عباد : ألك علم بخيبر؟

الأشجعى : (متخابثًا) عهدى بها حديث. فيم تسألنى عنه؟

عباد : عن اليهود.

الأشجعى : نعم، كان كنانة بن أبى الحقيق وهَوْذَة بن قيس قد سارا فى حلفائهما من غطفان فاستنفراهم وجعلا لهم تمر خيبر سنة، فجاءوا مُعدّين مؤيَّدين بالكراع والسلاح يقودهم عتبة ابن بدر..

أحد رفاق عباد : (مستفسرًا) ودخلوا معهم فى حصونهم؟!

الأشجعى : (مؤكدًا فى خبث) دخلوا معهم فى حصونهم، وفيها عشرة آلاف مقاتل.

أحد رفاق عباد : (يردد مستهولا) عشرة آلاف مقاتل؟!!

الأشجعى : (مؤكدا يدارى خبثه) هم أهل الحصون التى لا ترام، وسلاح وطعام كثير.. لو حصروا سنين لكفاهم.. وماء واتن (دائم لا ينقطع) يشربون فى حصونهم..
(يستأنف) ما أرى لأحدٍ بهم طاقة..

عباد : (وهو يعلوه بالسوط) ما أنت إلاّ عين لهم، أصدقنى وإلاّ ضربت عنقك!

الأشجعى : (وقد تراجع مرتاعًا) أفتؤمنى على أن أصدقك؟

عباد : نعم. لك الأمان ما صدقت.

الأشجعى : القوم مرعوبون منكم وجلون لما قد صنعتم بمن كان من اليهود فى يثرب!

عباد : فما أخبارهم؟!

الأشجعى : إن يهود يثرب بعثوا ابن عم لى وجدوه بالمدينة، قد قدم بسلعة يبيعها..

عباد : (مستحثًّا) إلى من بعثوه؟

الأشجعى : بعثوه إلى كنانة بن أبى الحقيق يخبرونهم بقلتكم وقلة خيولكم وسلاحكم ويقولون له: فأصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم، فإنه لم يلق قومًا يحسنون القتال! وأن قريشًا والعرب قد سروا بمسيره إليكم لما يعلمون من موادكم وكثرة عددكم وسلاحكم وجودة حصونكم! وأن محمدًا إن ظفر فهو ذل الدهر!

عباد : ومن بعثك؟

الأشجعى : كنانة بن أبى الحقيق. قال لى: اذهب معترضًا للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك، واحزرهم لنا (قدر أعدادهم وسلاحهم)، وادن منهم كالسائل لهم ما تقوى به، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا فإنهم لن يدعوا سؤالك.

عباد : يا لدهائهم!

الأشجعى : أمرونى أن أعجل الرجعة إليهم بخبركم!

«عباد يأخذ الأشجعى إلى صاحب العزم الأكبر عليه السلام، ينهى إليه ما عرفه من خبره - النبى - عليه السلام - يأمره..».

«مضارب المسلمين أمام «النطاة»، ونبال اليهود ترمى على المسلمين من أعلى الحصن، ولا يرد المسلمون التزاما بأمر النبى - عليه السلام - ألا يقاتلوا حتى يأذن لهم.. النبى - عليه السلام - يمر وسط المسلمين، يقبل عليه رهط وقد هاجت خواطرهم..».

أحدهم : يا رسول الله، استشهد رجل من أشجع.. حمل على يهودى فحمل عليه اليهودى فقتله..

النبى : (عاتبًا) أبعد ما نهيت عن القتال؟!

القادم : نعم.

النبى : (لمن حوله) نادوا فى الناس: لا تحل الجنة لعاصٍ.

«المسلمون يتنادون بما أمر به الرسول..»

الحباب بن المنذر : يا رسول الله، إن اليهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم، فاقطع نخلهم..

«أبوبكر الصديق يسمع مايقوله الحباب.. يقبل مهرولا..».

أبوبكر : يا رسول الله، إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر، فلا تقطع النخل.

«النبى - عليه السلام - يأمر بأن ينادى فى الناس ألا يقطعوا النخيل..».

منادٍ : (صائحًا) يا أيها الناس، يقول لكم رسول الله لا تقطعوا النخل. لا تقطعوا النخل.

«يتنادى المسلمون بما سمعوه من منادى الرحمة المهداة.. النبى - عليه السلام يقف على ربوة يستقبل من عليها المسلمين.. يقول لهم..».

النبى : لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم، فإذا لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تقتلهم أنت، ثم الزموا الأرض جلوسًا، فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا..

«النبى - عليه السلام - يدعو إليه علىّ ابن أبى طالب، والحباب بن المنذر، وسعد بن عبادة.. يدفع عليه السلام إلى علىّ رايته السوداء

– وتدعى «العقاب».. من برد لعائشة، ويدفع راية أخرى إلى الحباب، وثالثة إلى سعد بن عبادة..».

* * *

«مضارب المسلمين فى الباحة بمنطقة «النطاة» – بين تل «النطاة» وحصن «ناعم».. وقد مضت أيام لا يكف فيها اليهود عن رمى نبالهم وسهامهم من أعالى الحصن.. يلتقطها المسلمون ويردونها عليهم.. حتى يفصل بينهم ظلام الليل».

* * *

«النبى – عليه السلام – فى عريشه، يشق سكون الليل جلبة لبعض المسلمين يحملون جثمان شهيد ألقيت عليه رحًى من أعلى الحصن فقتلته لتوه..».

صحابى : من الرجل؟

القادمون : محمود بن مسلمة.. ألقوا عليه رحًى من أعلى الحصن فصرعته!

«النبى – عليه السلام – وقد خرج إليهم، يترحم ويترحمون عليه.. ويأمر عليه السلام بدفنه حيث مصرعه..».

«على مقربة، بأسفل الحصن، تحت جنح الليل، النبى – عليه السلام – والمسلمون يصلون

على الشهيد وقد تغشتهم الأحزان، تسبقهم عبراتهم وهم يوارونه التراب حيث استشهد..».

* * *

«المسلمون فى حراساتهم، يتناوبون تفقد المنطقة بين الحصون، مخافة المتسللين.. يعثر بعضهم على يهودى يتسلل تحت ستار الظلام.. يمسكون به إلى عمر بن الخطاب..».

اليهودى : اذهبوا بى إلى نبيكم حتى أكلمه!

«عمر بن الخطاب يقتاد الرجل إلى عريش رسول الله ﷺ فيلفاه يصلى.. ينتظر بالأسير حتى يفرغ النبى من صلاته..».

عمر بن الخطاب : (للنبى) هذا يهودى أمسكناه يتسلل بأسفل الحصن!

النبى : (لليهودى) ما وراءك؟ ومن أنت؟

اليهودى : تُؤَمِّنى يا أبا القاسم وأصدقك؟

النبى : نعم.

اليهودى : خرجت من حصن «النطاة» من عند قوم ليس لهم نظام، تركتهم يتسللون من الحصن.

النبى : فأين يذهبون؟!

اليهودى : إلى الشق (منطقة بخيبر بها حصنان: أبى والبرىء)، وقد رعبوا منك حتى إن أفئدتهم لتخفق.

صحابى : وماذا هنا فى «النطاة»؟!

اليهودى : فيه السلاح والطعام الودك، وفيه آلة حصونهم التى كانوا يقاتلون بها بعضهم بعضًا، قد غيبوا ذلك فى بيت من حصونهم تحت الأرض!

النبى : وما هو؟!

اليهودى : منجنيق مفككة ودبابتان وسلاح من دروع وبَيْض (جمع بيضة – خوذة) وسيوف..
(يستأنف) فإذا دخلت الحصن غدًا وأنت تدخله..

النبى : (مقاطعًا) إن شاء الله.

اليهودى : إن شاء الله أوقفك عليه، فإنه لا يعرفه أحد فى اليهود غيرى (يستأنف) وأخرى.

النبى : وماهى؟

اليهودى : تستخرجه ثم انصب المنجنيق على حصن الشق، وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك.. كذلك تفعل بحصن الكتيبة.

عمر بن الخطاب : يا رسول الله، إنى أحسبه قد صدق..

اليهودى : (راجيًا) يا أبا القاسم، احقن دمى.

النبى : أنت آمن.

اليهودى : (مستدركًا) ولى زوجة فى حصن النزار فهبها لى.

النبى : هى لك.. (يستأنف سائلاً) ما لليهود حولوا ذراريهم من «النّطاة»؟

اليهودى : جردوها للمقاتلة، وحولوا الذرارى إلى «الشق» و«الكتيبة»!

* * *

«النبى – عليه السلام – وقد أتوا إليه بيهودى آخر، سبق إلى الإمساك به كعب بن مالك فى نفر من المسلمين، فطلب الأمان على أن يبلغهم ما يريدون..».

النبى : (للأسير) من أنت؟!

اليهودى : رجل من اليهود (يستأنف) يا أبا القاسم: تُؤَمِّنى وأهلى على أن أدلك على عورة من عورات اليهود؟

النبى : نعم.

«ينطلق اليهودى فيدل النبى والمسلمين على عورة اليهود بالحصن، تتفق روايته مع اليهودى السابق.. النبى - عليه السلام - يدعو أصحابه فيجتمعون إليه.. يحضهم عليه السلام على الجهاد، ويخبرهم أن اليهود قد أسلمها حلفاؤها وهربوا، وإنها قد تجادلت واختلفوا بينهم!!».

المسلمون : غدًا يفتح الله علينا..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين إلى عنان السماء».

* * *